قسوة الطفولة *

للأستاذ أمجد الطرابلسى

عُدْ به للوطنِ النا   لى وللأمِّ الرؤومِ
عد به للوكرِ البا   كى وللصَّحبِ الوُجومِ
عد به للفنَنِ الذا   وى وللزهرِ الكليمِ
وارحمِ اليُتْمَ فمن أصـ   ـعبُ عيشاً مِن يتيمِ
زهرةٌ فواحةٌ مَطـ   ـروحةٌ فوقَ الأديمِ
وُئِدَتْ فى عُنفُوانِ الـ   ـحُسْنِ ما بينَ الرجومِ
تطأُ الأقدامُ خدَّيـ   ـها على التربِ الوخيمِ
أيها الطفلُ — وهل أر   هَبُ من طفلٍ غشومِ —
ما جنى تربُكَ حتى   سِيمَ ألوانَ الهمومِ ؟
هُوَ يا طفلُ حزينٌ   جائعٌ غيرُ فطيمِ
صامتٌ يجهلُ بثَّ الـ   ـحزنِ والكربِ العظيمِ
أىُّ مسكينٍ غريبٍ !   أىُّ مظلومٍ مَضيمِ !
جسمُهُ الأزغبُ لا ينـ   ـهضُ بالخطبِ الجسيمِ
يتنزّى فَرَقاً كالزَّ   هرِ فى مسرى النسيمِ
أو كغُصْنٍ مُرْعَشٍ ما   بينَ عصفٍ وهزيمِ

***

أُمُّهُ يا طفلُ تبكى   فى دُجى الليلِ البهيمِ
تتنزّى فوقَ أغصا   نِ الربى مشىَ السقيمِ
تسألُ الأزهارَ عنهُ   وعناقيدَ الكرومِ
والنسيماتِ اللواهى ،   ونثاراتِ الغيومِ
لم تذقْ طعمَ الكرى فى   وكرِها الداجى الوجومِ
أكرىً والدمعُ ما بيـ   ـنَ نثيرٍ ونظيمِ ؟
والجوى يعصفُ بالأضـ   ـلاعِ والقلبِ الهشيمِ
أكرىً بعدَ فراقِ الأ   هلِ أو فقدِ النديمِ

غابَ لا تدرى أحىٌّ   هُوَ أم بعضُ الرميمِ
أسجينُ القفصِ الخا   نقِ أم فَرْسَةُ بومِ

***

أنا يا عُصفورُ من يَرْ   أفُ بالغمِّ الكظيمِ
ما بأشجانِكَ يا مِسْـ   ـكينُ مِثلى من عليمِ
هِجْتَ فى قلبىَ جرحاً   غافياً جِدَّ قديمِ
هو عطفُ الأمِّ ، ما أنْـ   ـداهُ فى القلبِ الكليمِ !
لم أذقْهُ ؛ ليتَ لى منْ   قدسِهِ بعضَ رسومِ

***

إيهِ يا عُصفورُ هذى   سُنَّةُ البغىِ الذميمِ !
هكذا الناسُ ! فمنْ عا   دٍ ومن نهبٍ هضيمِ
ظالمٍ يقسو على الـ   ـحقِّ انتصاراً لظلومِ
وجريحٍ مؤلمٍ يحـ   ـنو على الجرحِ الأليمِ
القصورُ الشمُّ نشوى   الراحِ واللحنِ الرخيمِ
والدموعُ الحُمْرُ تنْـ   ـهلُّ من الكوخِ الهديمِ
ساكنُ الفردوسِ لا يد   ركُ ويلاتِ الجحيمِ
وهو فى الأحلامِ واللَّـ   ـذاتِ والعزِّ المقيمِ
أينَ طعمُ العسلِ الدفّـ   ـاقِ من لذعِ الحميمِ !
أينَ مَرُّ النسمةِ الحُلْـ   ـوةِ من لفحِ السمومِ !
أينَ أصداءُ الأغاريـ   ـدِ وهمساتُ النجومِ
من عويلِ الأكبدِ الحرَّ   ى وأنّاتِ الجسومِ !

***

عذْ بهِ للوطنِ الغـ   ـالى وللأمِّ الرؤومِ
وارحمِ الضعفَ فما يَـ   ـحقُّهُ غيرُ لئيمِ
سافكٍ لا يعرفُ الرأ   فةَ أو أسوَ الكلومِ
يتلهّى بالدمِ المُهْـ   ـراقِ والدمعِ السجيمِ
كيفَ تصفو عيشةُ الحُـ   ـرِّ وأفراحُ الكريمِ
وعلى الأرضِ شقىٌّ   واجدٌ نِضْوُ غمومِ
كُنْ رحيماً إنما الإنْـ   ـسانُ ذو القلبِ الرحيمِ

(دمشق)   أمجد الطرابلسى

(*) كتبت هذه القصيدة وقد رأيت فى المدرسة طفلا صغيراً يتلهى بتعذيب عصفور صغير مثله ، وكله فرح وسرور بالوجه